

## كتب بالفرنسية

## فلسطين - ذكريات ١٩٤٨، القدس ٢٠١٨

Palestine – Memoires de 1948, Jerusalem 2018

Chris Conti &amp; Altair Alcântara

London: Hesperus Press, 2019. 243 pages.

ويسلط الضوء على العنف السياسي الصهيوني. يتناول الكتاب شهادات لعدد من المعمرين من الرجال والنساء، عن ذكرياتهم داخل فلسطين قبل النكبة في سنة ١٩٤٨، والتي لم تعرفها الأجيال المعاصرة، وخصوصاً بعد تشتت سكانها في جهات الأرض الأربع. كما يتناول حياة هؤلاء بُعيد النكبة، ومواجهتهم لتحديات الحياة وصنعهم من المأساة شكلاً جديداً للحياة، ويوثق أيضاً قصصاً وحكايات، ويركز على صمود الناس وحبهم للحياة وقدرتهم على البقاء. يكشف الكتاب كيف عاش هؤلاء على الرغم من المأساة، فيمكن قراءه من معرفة قصص الحياة التي تعطي بعداً إنسانياً لأحداث يُقرأ عنها. فكل شخص له قصة وله طريقة في رواية

ألكانتارا، وبمشاركة فريق من المؤرخين والمصممين. في مقدمة الكتاب يكشف الرئيس السابق لـ "أطباء بلا حدود"، روني برومان، كيف أن الرحلة إلى ذاكرة الفلسطينيين تضع حداً لخرافة صهيونية لا تزال عنيدة، وتزعم أن "تلك الأرض القاحلة المهجورة التي اجتازها عدد قليل من سائقي الجمال [...]، إن العبرانيين الجدد سيصنعونها زهرة." غير أن هذا الكتاب يسمح لنا بروية المجتمع الفلسطيني قبل سنة ١٩٤٨، ببرجوازيته وعمّاله وأعيانه وفلاحيه ومثقفيه ومقاتليه،

عشرة شهادة **ثمانية** تعيد القارىء إلى حقبة النكبة الفلسطينية، وتُطلع على كثير من الذكريات من خلال مجموعة من الصور لمدينة القدس القديمة. ذكريات عن ضحايا فلسطين، وعن صمودهم بوجه الهجمات الإسرائيلية المتوحشة، وصور تروي واقع الحياة اليومية في هذه المدينة الرمزية التي يملكها الفلسطينيون، لكنهم لا يستطيعون الوصول إليها. صدر هذا الكتاب باللغة الفرنسية\* وهو خليط بين الرواية والصور، من تأليف كريس كونتي وتصوير ألتير

\* صدرت أيضاً لاحقاً في سنة ٢٠١٩، وعن دار النشر نفسها، نسخة إنجليزية مترجمة من الكتاب بعنوان: *Palestine – Memories of 1948, Photographs of Jerusalem*، وحتى نشر هذه القراءة كان العمل جارياً لنشر نسخة باللغة الإسبانية.

الكتاب أنه يروي تفصيلات عن حياة أبو شرار، فهو الوحيد الذي جمعت سرديته بعد استشهاده، ومن خلال أشخاص عرفوه. وتشير السردية إلى أن أبو شرار وُلد في قرية دورا في قضاء الخليل في سنة ١٩٣٦، وأن معالم أفكاره وتوجهاته الوطنية تبلورت في غزة، وتذكر كيف عمل مدرساً في مدرسة في قضاء الكرك في الأردن، ثم أصبح مديراً لها، قبل أن يسافر إلى الدمام في السعودية ليعمل محرراً في صحيفة "الأيام" في سنة ١٩٥٩، حيث تمكن من التعبير عن أفكاره السياسية والوطنية. ويتناول الكتاب التحاقه بحركة "فتح" في سنة ١٩٦٢، وتفرّغه للعمل في صفوف الحركة في عمّان ضمن جهاز الإعلام، وأنه أصبح رئيس تحرير صحيفة "فتح" اليومية، ثم مديراً لمركز الإعلام، ثم مسؤولاً عن الإعلام المركزي، ثم الإعلام الموحد لمنظمة التحرير الفلسطينية، قبل أن يتم اختياره لتولي أمانة سر

المتتملة في روايات رجال ونساء يتذكرون أيامهم الأخيرة في المنزل وخلال الحرب، وعشية الويلات والمذابح، ويتذكرون مآسي المنفى والبأس الذي كان عليهم إظهاره للتكيف مع الحياة الجديدة. أجزاء من حياة هذه الشخصيات سُردت مصحوبة بصور بالأبيض والأسود لطرق وساحات وأماكن، ولأراضٍ وأشجار زيتون. يخبرنا الكتاب عن قصة رجلين نُفيا إلى أميركا اللاتينية (البرازيل وتشيلي)، وهما يرويان كيف بقيت ذكرى نكبة ١٩٤٨ حيّة في أذهانها حتى عندما كان يتعين عليهما بناء هويتها الجديدة في مكان آخر بعيد جداً عن فلسطين وعن العالم العربي. ويرسم صورة للشهيد القائد ماجد أبو شرار، ورحلته السياسية منذ نشأته في غزة حتى اغتياله، مروراً بمراحل شديدة الأهمية في تاريخ حركة "فتح" وصراعها الطويل ضد الاحتلال. وأهمية هذا الفصل من

قصته، وهي ليست قصص ضحايا، وإنما قصص نضال عاشه هؤلاء الناس من أجل مواجهة الاحتلال. فلسطين، والقدس تحديداً، بالنسبة إلى كل فلسطيني، هما مصدر مشبع برمز وبهوية وبذاكرة، وخصوصاً أن هذه الأخيرة ما زالت محتلة وممنوعة على أغلبية الفلسطينيين. ينقسم الكتاب إلى فصلين: الأول يحتوي على النصوص والشهادات، والثاني يضم مجموعة من صور القدس التي تُبرز جماليات المدينة المقدسة وبساطة الحياة العامة فيها. وقد تطلّب إنجاز الكتاب ثلاثة أعوام، بُني خلالها بعناية فائقة كي تُنقل هذه القصص بصدق إلى الأجيال الفلسطينية في الشتات. في المقدمة، تشير كريس كونتي، مُعدّة القصص، إلى أنها حاولت أن تنأى بنفسها بقدر الإمكان عن السردية، كي تكون الكلمة ملك ضحايا تاريخ فلسطين، ليقدموا سرديتهم. وتشير إلى أن بين هؤلاء شهوداً على النكبة، ومن هنا تأتي أهمية الكتاب

المجلس الثوري في "فتح" في المؤتمر الثالث للحركة في سنة ١٩٧١.

أبو شرار الذي ساهم في دعم وتأسيس مدرسة الكوادر الثورية في قوات العاصفة عندما كان يشغل موقع مسؤول الإعلام المركزي، ساهم أيضاً في تطوير مدرسة الكوادر في أثناء توليه مهمات مفوض سياسي عام. وقد أصبح لاحقاً عضواً في الأمانة العامة للاتحاد العام للكتاب والصحافيين الفلسطينيين، واختير في المؤتمر العام الرابع لحركة "فتح" في سنة ١٩٨٠ ليكون عضواً في اللجنة المركزية للحركة.

يوثق الكتاب عملية اغتياله على يد الاستخبارات الإسرائيلية في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨١ بقنبلة وضعت تحت سريره في أحد فنادق روما، حيث كان يشارك في مؤتمر عالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني. ويخبر كيف كان هناك برفقة الشاعر محمود درويش متخفياً بجواز سفر جزائري باسم عباس

زيتوني، وكيف اضطر إلى تبديل الفندق لدواع أمنية، لكن يد الغدر كانت أقوى، إذ اغتيل ونُقل جثمانه إلى بيروت ودُفن في مقبرة الشهداء - شاتيلا.

ومن نماذج الشهادات لأناس عاديين عاشوا النكبة، شهادة السيدة سهيلة صبحي الششتاوي (٩٠ عاماً) التي تقول: "عمر بيتنا أكبر من عمر إسرائيل، بناه جدي لأمي من الحجر، وهو من عائلة الوعري. ذهب قبل أعوام لرؤية بيتنا، لكنني عدت من دون أن يُسمح لي بذلك. صورة البيت لا تزال مرسومة في ذاكرتي كأنه أمامي الآن، ولا يزال في قلبي حسرة، فقد عشت فيه طفولتي، وأتمنى أن يتاح لي رؤيته قبل أن أموت."

تُقرّ المؤلفة بأن عملها ليس كتاباً تاريخياً بالمعنى التقليدي، بل عملية تدوين لما حدث. ففيه مشاهدات ومرويات بلسان شخصيات من جميع فئات المجتمع لم تتركها ظلال النكبة التي وقعت في سنة ١٩٤٨، وإنما ما زالت شاهدة على حدث

جلل سيبقي حاضراً في ذاكرة التاريخ. هذا الكتاب ليس للفلسطينيين وحدهم، بل للعالم بأسره كي "يعرف ويشعر بما حدث لهذا الشعب وما اختبر من مأس".

وعن رحلتها مع الكتاب تقول كونتي إن التصدي للقضايا الإنسانية "علمني قيمة العمل الشاق، وأن أوصل التحدي على الرغم من الصعاب للوصول إلى تغييرات إيجابية، وقد أفدت من تجربة هؤلاء الذين استطاعوا أن يعلموني معنى المكابدة والأمل."

ضمت النسخة الفرنسية نحو ١٥ موضوعاً وشهادة من معمرين فلسطينيين. من موضوعات الكتاب: "المعركة القانونية لإحياء الوعي الفلسطيني" (فؤاد شحادة، ٩٤ عاماً)؛ "الغريب" (الناقد فيصل دراج، ٧٦ عاماً)؛ "حارس شجرة الزيتون" (سليمان حسن، ٧٦ عاماً) الذي حمل الكتاب صورته على الغلاف.

ومن الشهادات: "مذبحة الدوايمة" التي راح ضحيتها نحو ٧٠٠ قتيل (رشيدة

إبراهيم حربوك، ٩٠ عاماً؛  
 "العودة إلى بيتنا فلسطين"  
 (إلهام أبو غزالة، ٨٠ عاماً)؛  
 "التشليون من أصل  
 فلسطيني" (نيكول شهوان،  
 ٨٤ عاماً)؛ "الحرية لصوفي"  
 (محمد تيجاني، ٩٣ عاماً).

عماد الشدياق  
 صحافي لبناني

حيفاً" (سعاد قرمان، ٩١  
 عاماً)؛ "من غزة إلى ريو"  
 (محيي الدين الجمال، ٨٨  
 عاماً)؛ "أم العودة" (حليمة  
 محمد مصطفى، ٧٦ عاماً)؛  
 "البطيريك" (رجل الدين  
 ميشيل صباغ، ٨٦ عاماً)؛  
 "المرأة الفلسطينية" (تمام  
 الغول، ٨١ عاماً)؛ "اليوم  
 الذي أنقذ بتير" (حسن

هديب، ٨٠ عاماً)؛ "الأرض  
 التي أطعمتنا" (عبد الرحمن  
 النجاب، ٨٣ عاماً)؛ شهادة  
 عن ماجد أبو شرار؛ "مناضل  
 من الناصرة" (سميرة كباس  
 خوري، ٩٠ عاماً)؛ "الغائب"  
 (أميمة مهدي العامي، ٨٣  
 عاماً)؛ "المدرّس" (صلاح  
 الدين صالح عيسى، ٨٣  
 عاماً)؛ "الأحجار الحية في

من منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية

## مقالات "اليوم السابع" - محمود درويش

أعدّها وحرّرها وقدم لها: حسن خضر

٢٤٦ صفحة ١٤ دولاراً

من منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية

## الخروج إلى النور: نبيل عناني

مراجعة النص وتحريره: رنا عناني

١٨٨ صفحة ١٢ دولاراً